2022/2/20

السنة الثانية: ليسانس جدع مشترك

مقياس: الجغرافية السياسية

المحاضرة رقم 2: تطور الفكر الجيوبولتيكي

أشرنا في المحاضرة السابقة إلى الفرق بين الجغرافية السياسية والجيوبولتيك وقلنا بأن جوهر الجيوبولتيك هو تحليل العلاقات الدولية السياسية على ضوء الأوضاع والتركيب الجغرافي، بمعنى إخضاع الجغرافية لخدمة السياسة، فإذا كانت الجغرافية السياسية أساسا تهتم بشكل الدولة وطبيعة توزيعها على الكرة الأرضية وتعتمد دراسة وصفية للعلاقة بين الجغرافية والسياسة، فإن الجيوبولتيك يعتمد منظور مختلف قوامه النزاع السياسي على الأراضي أو تنافس القوى الكبرى على سطح الأرض. التنظير العلمي للجيوبولتيك كان في أواسط القرن 19، وكان رواده من البريطانيين والإمركيين، ومفكروا ألمانيا الصاعدة، وقد استخدم مصطلح الجيوبولتيك بصيغته الحديثة في أواخر القرن 19، لأن تفكير الدول بمنطق عالمي ارتبط حينها بالعوامل الجغرافية التي أصبحت تسمح بتحرك عالمي لا محلي أو إقليمي محدود، وساهم في تطوره ثلاثة عوامل رئيسية:

1-الثورة الصناعية التي زادت من حدة المنافسة بين الدول لتوفير الموارد الإقتصادية الضرورية للإنتاج، كما أن تطور الصناعة العسكرية أرتقى بقوة الجيوش أكثر وبالتالي أصبح توفير المجال الحيوي وتحصيل القوة أكثر حيوية وصعوبة لتحقيق البقاء.

2-ظهور مفهوم الدولة القومية الناشئ عن يقضة القوميات، وهذا ما أدى إلى الإنزلاق نحو الصراع، لأن القومية لم تنحصر في الأراضي القومية للدفاع عنها بل امتدت للحماية والتوسع، وقد اشتد الصراع بعد أن اتسعت خارطة القوى الكبرى لتشمل قوى أخرى بعد الوحدة الألمانية والايطالية وكانت بعض الدول مهدد بزوال قوتها إذ لم تحصل على أراضي جديدة لسكانها والحصول على الموارد الأولية، وهذا ما أدى إلى ظهور الاستعمار ثم التنافس في أوروبا ذاتها بعد نفاذ مجالات التوسع.

3-الثورة العلمية التي كانت تؤكد أن كل شيء تحكمه القوانين بما في ذلك علاقة الدول بالمساحة والإقليم وظهور نظرية "داروين" عن التطور البيولوجي، التي تجادل بأن الكائنات الحية في صراعها على البقاء تتنازع فيما بينها وتتسع دائرة المحيط الطبيعي للكائن الأقوى على حساب الكائن الأضعف، وفي العلاقات بين الدول فهمت

السياسة بين الدول كصراع غير منتهي لأجل بقاء الوحدات السياسية، لذا فالأخلاق والعدالة غير مهمة مقارنة بالحاجة لتحصيل مزيد من القوة والموارد.

وفي دراستنا لتطور الفكر الجيوبولتكي سوف تناوله من خلال مجموعة من المدارس التي اهتمت به كوسيلة أو حقل معرفي جديد، وقد تعددت هذه المدارس بتعدد المفكرين من مختلف أنحاء العالم الذين ساهموا في تطوير الجيوبولتيك كل حسب ايديولوجيته وتوجهاته القومية، ويمكن حصر اهم هذه المدارس في: المدرسة الألمانية، المدرسة البريطانية، المدرسة الإمريكية، إضافة إلى المدارس الحديثة.

أولا/ المدرسة الألمانية: إن ظهور الجيوبولتيك للوهلة الأولى في ألمانيا تحديدا دون غيرها من الدول لم يكن وليد الصدفة، بل كان الهدف من الإهتمام بهذا الحقل المعرفي سعي المنظرين الألمان في هذا المجال إلى المساهمة في تنمية القوة الألمانية على الساحة الدولية من خلال دعم علمي أكاديمي، حتى تتمكن من اللحاق بالقوى العالمية الموجودة آنداك: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الإمريكية، أي أن دافع المفكرين الألمانيين كان مبني على أساس وطني قومي محض.ومن بين هؤلاء المفكرين نجد:

1-فيدرك راتزل (1844-1904): كان استاذ للجغرافية السياسية في مدينة ميونيخ، يعتبر من مؤسسي الجغرافية السياسية، نشر خلاصة أفكاره في كتابه الشهير "الجغرافية السياسية" سنة 1879، وكتابه حول "المجال الحيوي" سنة 1901، و"الأرض والحياة" سنة 1902. وقد تأثر "راتزل" في أعمال بشكل كبير بالنظرية القومية والإستعمارية، حيث أن كل أعماله ركزت على دراسة مكانة ألمانيا ودورها في بيئتها الأوروبية والعالمية، وجاءت كل مؤلفاته متأثرة بالنظريات التطورية والبيولوجية لـ: "شارلز داروين".

ينطلق "راتزل" من النظر للدولة ككائن عضوي يتكون من جزء انساني وجزء أرضي، أي أن للدولة موقعا سياسيا تتحدد به علاقاتها مع الدول الأخرى في الخارج، وموقعا مساحيا ينظر له من خلال موقعها الأرضي، ويؤكد "راتزل أن الدولة تتطور ضمن حدود ثابتة، التي تبدأ من وحدة أرض ثابتة ثم إذا لم تجد منافسة من الدول الأخرى فإنها تسعى للتمدد وتتخطى تلك الحدود.

والأمة الحية عند "راتزل" هي التي تستثمر البيئة المحيطة بها لإستمرار وجودها، فالجغرافية تمثل بالنسبة للدولة مثل الجسد للكائن الإنساني لذا لا يمكن دراسة وفهم الدولة دون دراستها أراضيها ومكوناتها الطبيعية والإجتماعية، كما أن الدولة تنمو بفضل حيوية ونشاط القوة العسكرية وتتمدد بسبب ذلك، وإن لم تفعل ذلك ستستباح من غيرها، ومن أجل ذلك تتنازع الأمم على المجال الحيوي والتزاحم على الأرض لبلوغ المكانة الأكبر بين القوى. وعلى هذا الأساس طور "راتزل" فكرة المجال الحيوي مؤكدا أن الدولة القوية يجب أن تكون لها مساحة أكبر كي تستطيع البقاء، وشرح ذلك في قوله أن التوسع الجغرافي له جميع الخصائص المميزة للجسم الحي

المتحرك والذي يتمدد وينكمش تقدما وتراجعا وأن أساس هذه الحركة هو الحصول على مساحة أكبر بالنظر للحجم الأساسي للدولة، ولكي تنمو الدولة بصورة سليمة مستغلة المجال الحيوي لديها أوضح "راتزل" سبعة قوانين لذلك:

1-تنمو مساحة الدولة بنمو حضارتها، فالنفوذ الحضاري بنشر اللغة والدين يخلق ترابطا نفسيا وعقائديا يمكن أن يكتمل بترابط سياسي، وعليه فإن المناطق المتاخمة لحدود دولة يتحدث سكانها بلغتها ويعتنقون دينها من السهل أن يمثلوا امتدادا جغرافيا لها في المستقبل.

2-تزايد عدد السكان وتزايد ضغطهم على الموارد المحلية يجد حله في تدعيم الهجرات إلى المناطق المجاورة وتدعيم الرحلات التجارية إلى أقاليم مختلفة وهكذا تجد مبررا لضمها مستقبلا.

3-نمو الدول يتم عن طريق ضم وحدات صغيرة ودمجها سواء بسبب ضعف عدد سكانها أو حجم مساحتها أو مواردها أو قوتها العسكرية أو تبعيتها الحضارية.

4-الحدود هي الإطار الخارجي للدولة وتتسع بنمو الدول، فالحدود لا ينبغي أن تكون ثابتة بل متحركة، والدولة ككائن حي كلما زاد عدد سكانها وازداد نفوذها الحضاري فإن حدودها يجب أن تتغير لتوافق هذا التوسع.

5-الدولة في نموها تسعى دائما لضم المناطق ذات القيمة الاقتصادية أو الموقع الإستراتيجي.

6-تنتقل أفكار الوحدة من الوحدات السياسية الصغيرة ذات الجذور الثورية أو التي تبرز فيها شخصية ثورية قيادية تدعو للوحدة (مثل بسمارك في ألمانيا).

7-تنتشر عدوى الضم وتوسيع المساحة بصورة سريعة بين الدول لإثبات وجودها استراتجيا وغالبا ما يكون التنافس على حساب الوحدات السياسية الصغيرة والضعيفة، ومثال ذلك التنافس الأوروبي على المستعمرات في إفريقيا وآسيا.

وقد أوجد "راتزل" العلاقة بين المساحات القارية الكبيرة للدولة وبين القوة السياسية، ففي رأيه أن المسطح الكبير أي المكان الكبير هو طاقة سياسية يمكن أن تظهر وتبرز مع حسن استخدامها، ولقد كان "راتزل" متأثر بشدة من مثال حي وهو نمو الولايات المتحدة الإمريكية قوة كبرى داخل إطار من المكان الكبير وكان يتوقع أن دور أوروبا سوف يتضاؤل وأن تاريخ السياسة العالمية سوف تسيطر عليه في القرن 20 الدول العملاقة المساحة التي تحتل مكانا كبيرا من القارات مثل أمريكا وروسيا، وأستراليا.

2-إسهامات "رودلف كيلن" (1864-1922): يعتبر "كيلن" أول من استخدم مصطلح الجيوبولتيك، وهو صاحب فكرة أن القوة أهم من القانون وأن الضرورة لا تعرف القانون، في كتابيه الشهيرين "الدولة كمظهر من مظاهر الحياة" سنة 1917، و"الأسس اللازمة لقيام نظام سياسي" سنة 1920، استخدم "كيلن بشكل واضح الفلسفة العضوية في فهم نشأة وتطور الدول، وقد اخذ من "راتزل" فكرة الدولة كائن عضوي تمثل الأرض التي يعيش عليها السكان الجسد، وتكون العاصمة فيها القلب والرئتان، وتكون الأنهار بمثابة الأوردة والشرايين، ومناطق الإنتاج الصناعي والزراعي كأطراف لها. لذا فالجغرافية يجب أن تسخر لخدمة الدولة وبذلك تتحول الجغرافيا في مجملها إلى جيوبولتيك.

نقل "رودلف كيلن" مفهوم الجيوبولتيك إلى العلمية، فكان عنده العلم الذي يعنى بما يجب أن تقوم به الدولة الطامحة للقوة وكيف يجب استغلال الجغرافية لأجل ذلك، وحسب "كيلن" الدولة شكل من أشكال الحياة، أي كائن حي يتصارع على المجال الحيوي من أجل البقاء والصراع الذي كان جاريا بين الدول في بداية القرن 20 هو من سنة الطبيعة.

وبما أن " كيلن" كان عالم سياسة فقد أخذ بفكرة الدولة ككائن حي مستهدفا بناء نظرية موضوعية لتحليل نشأة وتطور الدولة، فقد ركز على تحليل الدولة ككل في جميع أبعادها ومظاهرها وقسم الدراسات المتعلقة بالدولة إلى:

1-الجغرافية والدولة.

2-السكان والدولة.

3-التركيب الإجتماعي للدولة.

4-الموارد الإقتصادية للدولة.

5-المنطقة الحكومية للدولة.

ورغم تشبيه الدولة بالكائن الحي فهذا لا ينفي أن وجود الدولة في حد ذاته مرتهن في النهاية بأيدي الأفراد، لذا اعتبر وجود عدد قليل من القوى الكبرى هو نتيجة لوجود حكومات قوية سعت نحو التوسع، وفي ذلك كان "كيلن" قد تنبأ بأن ألمانيا ستكون دولة عظيمة نظرا لما تتمتع به من مزايا الموقع الجغرافي البري، وستنتقل إليها السيادة بدلا من القوة البحرية لبريطانيا، فقد كان يعتقد أن ألمانيا تمثل المستقبل أما فرنسا وبريطانيا تمثل الماضي، وكان يتوقع ان تصبح دول أوروبا الوسطى مجبرة على الإنضماج في رابطة من الدول تحت الحماية الألمانية.

3-اسهامات "هاوسهوفر" 1869-1946: سعى الباحثون الألمان في ما بين الحرب العالمتين الأولى والثانية تطوير أفكار "فديرك راتزل" ورودلف كيلن" لتكون الإطار النظري لتبرير توسع ألماني محتمل على حساب أراضي الجوار، وكبرنامج عمل واستراتجية فعالة ما بعد الحرب العالمية الأولى التي هزمت فيها ألمانيا وقيدت أراضيها وتسلحها، أوجد الجينرال الألماني "كارل هاوسهوفر" الأكاديمية الألمانية للجغرافية السياسية سنة 1924، التي كانت تصدر دورية محلية باسم الجيوبولتيك وعمل فيها كيلن كمحرر، وقد كان "هاوسهوفر" بسبب اهتماماته تلك صاحب تأثير كبير على الدوائر العسكرية الألمانية وأحد مستشاري "هتلر" الذي تأثر بأفكاره وبالتحديد لما أعتبر بسط النفوذ على المجال الحيوي يرتبط بالعوامل الجغرافية والبشرية، وقد اختزل المشكلة الألمانية في عدد سكانها الكبير الذي وصل قبل بداية الحرب العالمية الثانية إلى 85 مليون نسمة على مساحة جغرافية تقدر بـ 600 ألف كلم مربع.وهي رقعة صغيرة لا تستوعب هذا العدد الهائل أو الضخم من السكان الألمان، ولذلك وجب على ألمانيا التحرك للبحث عن مجالات حيوية تقضي على مشكلاتها الديموغرافية.

لقد كان "هاوسهوفر" يعتقد أن سبب خسارة المانيا في الحرب العالمية الأولى هو الإفتقار للمعرفة الجغرافية الصحيحة والإدراك الجيوبولتيكي السليم فهي وجدت نفسها في الحرب بمحادات الأعداء وهو ما كلفها الخسار، وبهذا كان يرى بأن ألمانيا لا يجب أن تصطف أبدا ضد روسيا، وحسبه فإن أفضل طريق يمكن أن تسلكه ألمانيا هو التحالف مع روسيا أو على الأقل عدم معاداتها، ولهذا اعتبر القطيعة مع روسيا كانت خطأ قاتلا واهم عامل تسبب في هزيمتها خلال الحرب العالمية الأولى.ولهذا كان موقفه مؤيد للتحالف الذي أقامه "هتلر" مع الإتحاد السوفياتي في مؤتمر ميونيخ سنة 1938، رغم أنه كان يمقت الإيديولوجية الشيوعية السوفياتية، إلا أن رؤيته كان قائمة على عدم السير ضد قوانين الجغرافية والدخول في حرب أو عداوة مع قوة قلب الأرض.

ورغم أن "هاوسهوفر" لم يقم بنشر أي مخطط لغزو أوروبا والعالم كما أقدم "هتلر على تنفيذه، إلا أن المواضيع التي كان ينشرها توحي بالفكرة العامة لدى الجيبولتكيين الألمان عن المجال الحيوي، ولهذا كانت أهداف ألمانيا هي التحكم في وسط أوروبا وتدمير القوة البحرية البريطانية كقوة عظمى والتحالف مع روسيا لجعل العالم تحت القيادة الألمانية ومجابهة الأخطاء الجغرافية لإتفاقية "فرساي" في نظر ألمانيا التي قسمت أرووربا إلى قوى كبرى مستعمرة وقوى متحصلة على اراضي ودول مختنقة في الوسط مثل ألمانيا.

ثانيا/المدرسة البريطانية: (هالفورد ماكندرونظرية قلب الأرض 1861-1947)

قدم "هالفورد ماكندر" الأساس الفكري لنظريته قلب العالم في مقالته الشهيرة سنة 1904، " المحور الجغرافي للتاريخ" ثم طورها في كتابه "المثل الديموقراطية والواقع" سنة 1919، قبل أن يعدلها مرة أخرى سنة 1943، وعندما كتب المفكر البريطاني عام 1904، "المحور الجغرافي للتاريخ" كانت أفكاره مبنية على خشية بريطانيا من

الطموح المتزايد للتوسع الجغرافي الذي شهده العالم في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، إذ كشف "ماكندر عن وجود منطقة محورية عرفت باسم المحور الجغرافي للتاريخ كانت لها الأثر الكبير في تفاعلات العلاقات الدولية في مختلف مراحلها التاريخية، كونها شكلت نقطة الإرتكاز الجغرافي في صنع تاريخ الإمبراطوريات القديمة، سماها فيما بعد بقلب الأرض، حيث يضم هذا الأخير أقاليم استراتجية في العالم أبرزها سهول شرق أوروبا وسهول شرق ووسط آسيا.

في تطويره لنظرية قلب الأرض انطلق "ماكندر" من معطيات جغرافية أساسية كما يلي: [1]

- أن ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية مغطاة بالمياه، أطلق عليها المحيط العالمي الواسع لإتصال البحار ببعضها البعض.

- أن مساحة اليابسة لا تتجاوز ربع مساحة العالم، وأن ثلثي هذه المنطقة أقرب لأن تكون وحدة طبيعية مترابطة سماها "ماكندر" بالقاعدة هي القارات الثلاث إفريقيا، أوروبا، وآسيا.فيما تمثل الإمريكتين وأستراليا الثلث المتبقي.

-أن المنطقة هذه القاعدة أو المنطقة الوسط تجمع بين المنطقة القارية والمنطقة البحرية ولهذا سماها "ماكندر" بجزيرة العالم، وهي تضم أغلب سكان العالم.

-ضمن كتلة أوروبا وآسيا أو وكما سماها "أوراسيا" لاحظ وجود سهول داخلية واسعة تتمتع بحماية طبيعة من جهاتها الأربعة، سماها في البداية بمنطقة الإرتكاز Pivot area ثم أطلق عليها قلب العالم Heartland .

ومن خلال دراسته للتاريخ الأوراسي لاحظ أن منطقة " الهارتلاند" أو قلب الأرض هي منطقة محصنة جغرافيا بما يوفر لها الأمن من أي هجوم خارجي، وتشمل منطقة القلب الذي أطلق عليها في بادئ الأمر منطقة الإرتكاز جزء كبيرا من أوراسيا هذه المنطقة يحدها من الشرق الصين ومنشوريا، ومن الشمال المحيط المتجمد الشمالي، ومن الجنوب هضاب آسيا وجبال الهيمالايا أما من الغرب فيحدها نهر الفولكا، وكانت غالبية منطقة قلب العالم تقع في روسيا القيصرية حينها والإتحاد السوفياتي فيما منذ 1917.

وتتميز غالبية أراضي منطقة قلب الأرض –وفق ماجادل ماكندر- بأنها ذات امكانيات إقتصادية هائلة سواء كأراضي زراعية ومن حيث غناها بالموارد الطبيعية، كما أنها تتميز انهارها إما بالتصريف الخارجي نحو المحيط المتجمد الشمالي مثل "نهر يانسي" أو التصريف الداخلي نحو بحار مغلقة مثل "نهر الفولكا" الذي يصب في بحر قزوين،وهذا يعني أن أنهار قلب الأرض توفر منطقة محصنة أمنيا من الغزو الخارجي، فالمنافد المائية التي

[1] غنيم عبد الحميد، الجغرافية السياسية، الكويت، مكتبة الفلاح، 1987، ص 181.

تستطيع من خلالها قوات معادية اقتحام القلب تبقى ضئيلة، إما عبر البحر الأسود، أو بحر البلطيق الذي يظل متجمد طوال الشتاء. كما توفر الحدود البرية لهذا القلب الأمن من أي هجوم خارجي بسبب وجود حواجز جبلية، شرقا إقليم سيبريا الجاف والبارد، ومن الجنوب الشرقي صحراء منغوليا القاحلة بسلاسلها الجبلية وجنوبا جبال الهيمالايا وهضاب أفغانستان، أما شمالا المحيط المتجمد الشمالي وهو بعيد عن الإستغلال للملاحة البحرية بسبب بقائه متجمدا لفترات طويلة، ومن الشمال الغربي بحر البلطيق، إذن المنفذ الوحيد لقلب الأرض يكون عبر أوروبا الشرقية.

كما تصور "ماكندر" أن قلب العالم محاط بهلال داخلي يضم هذا الهلال أوروبا الغربية والأرض العربية في الشرق الأوسط، وتركيا والجزء الجنوبي من إيران جنوب شرق آسيا والجزء الأكبر من الصين، وقد أعتبر "ماكندر" المنطقة منطقة صدام بين القوات البحرية والبرية. ويحيط بالهلال الداخلي قوس من الجزر التي تفصلها بحار ومحيطات واسعة سماها "ماكندر" بالهلال الخارجي، ويشمل إمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وإنجلترا واليابان، ويمتلك هذا النطاق قوة بحرية عظيمة، قلب العالم إذن قاري وأطرافه جزرية.[2]

ومن خلال دراسته لمجمل التاريخ الأوراسي وتحديدا منطقة القلب أقتنع "ماكندر بالأهمية الجيواستراتجية لهذه المنطقة وتأثيرها على مجمل تفاعلات العلاقات الدولية ولا شك أن القوة البرية التي تبسط نفوذها على مركز الأرض ستنافس بنجاح القوى البحرية العالمية، و"ماكندر" بفرضيته هذه يقصد التنافس الدولي لذي كان يدور بين القوى البرية وعلى رأسها روسيا والصين وألمانيا، والقوى البحرية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا، هذا التفكير الجيوسياسي "لماكندر" كان يدعوا إلى منع تحالف سوفياتي مع الألمان لأنها القوة التي يصبح بإمكانها أن تنافس وبنجاح كبير الدول والتغلب عليها، ولهذا دعى إلى ضرورة أن تتحالف حوض الأرض الوسطى مع قلب الأرض للقضاء على العسكرة الألمانية وتوقع أن تقوم وسط وشرق أوروبا بدور الفاصل بينهما، وقد تلخصت نظريته في المقولته الشهيرة:[3]

-من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم؛

-ومن يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم؛

-ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم كله.

ويؤكد "ماكندر" أن الواقع الجيوبولتكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي كما يؤكد على فكرة مهمة جدا وهي أن المركزية مفهوم نسبي ويمكنها أن تتبدل مع كل سياق جغرافي محدد. والقارة الأوراسية من

---

[2] العيسوي فايز محمد، الجغرافية السياسية المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 309.

[3] نفس المرجع ، ص 34.

وجهة النظر الكونية تقع في مركز العالم ويقع في مركزها ما سماه بقلب العالم وهذا هو رأس الجسر الجغرافي ملائمة للسيادة على العالم بأسره. وقد رشح "ماكندر" روسيا وألمانيا للسيطرة والتحكم في هذا القلب، وهذه الفرضية تعبر عن مخاوف البريطانيين من نشوء دولة قارية كبرى في منطقة قلب الأرض تمتلك القدرة على بسط نفوذها في المناطق المجاورة.

لكن "ماكندر" عاد مرة أخرى ليراجع أفكاره مع ملامح تغير ميزان القوى العالمي بدخول الولايات المتحدة الإمريكية في الحرب العالمية الثانية، إذ أصبحت تحظى بأهمية أكبر في نظريته عن قلب العالم، ففي مقال شهير له سنة 1943 "العالم الدائري وانتظام السلام" لم يعد "ماكندر" يحبذ مقولة "من يسيطر على قلب العالم يحكم العالم" لأن الكتلة الأطلسية التي باتت متحدة وتجمع طرفي الأطلسي الشرقي (غرب أوروبا") والغربي (الولايات المتحدة الإمريكية) باتت مترابطة وتمثل مجتمع وأمة واحدة وايديولوجية واحدة، وتمثل منطقة غنية ومنطقة تمركز صناعي عالمي ومتكاملة جغرافيا من خلال الأساطيل البحرية والمواصلات الجوية، وقد سمى "ماكندر هذه المنطقة بحوض الأرض الوسطى، لذا فإن الإتحاد السوفياتي رغم أنه خرج من الحرب أقوى قوة برية في العالم وفي أفضل المواقع الإستراتجية الدفاعية، فإن شمال الأطلسي يستطيع أن يكون القوة المواجهة المناسبة للحيلولة دون توسع الإتحاد السوفياتي وغزو ألمانيا بتحقيق التوازن معه.[4]

ثالثا/ المدرسة الإمريكية:

1-المفكر نيكولاس سبيكمان 1883-1943 (نظرية حافة الأرضRimland Theory)

نيكولا س سبيكمان هو أحد رواد مدرسة القوة في العلاقات الدولية عمل استاذ للعلاقات الدولية بجامعة "يال yale" الشهيرة، وكان من القائلين بأن الجغرافيا عامل أساسي في السياسة الخارجية للدول، فقد درس سبيكمان أثر الجغرافية على السياسة الخارجية للدول واسنتج أن طموحات الدول الجغرافية تبقى هي نفسها خلال قرون ولهذا تبقى الجغرافيا هي المسؤولة عن الصراعات رغم اندثار الحكومات. عرض "سبيكمان" أفكاره في كتابه "جغرافية السلام الصادر عام 1944، -بعد وفاته-، ركز فيها على المنطقة المحورية التي يدور حولها التنافس الدولي بين القوى البحرية والبرية واعتبر أن الهلال الذي أسماه حافة الأرض والذي يضم كل من أروبا الشرقية وشبه الجزيرة العربية والعراق وآسيا الوسطى وإيران وأفغانستان والهند، وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا هو المنطقة الوسيطة الواقعة بين قلب الأرض –روسيا- والبحار المشاطئة.

أنتقد "سبيكمان "نظرية قلب الأرض "لماكندر" ومبالغته في تقدير حصانة قلب العالم، فهي تبقى عرضة لإئتلاف الهوامش أو ما أسماهاه "ماكندر بالهلال الداخلي، مقدما فرضية مفادها أن التاريخ الجغرافي لحافة

---

[4] العيسوي فايز محمد، **الجغرافية السياسية المعاصر**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص

الأرض قد نشأ من تلقاء نفسه وليس بتأثير من قلب الأرض الذي يعتبره مجرد مصب لروافد الحضارة من المناطق الشاطئية، وعلى هذا الأساس تعد حافة الأرض الشريان الذي يمد هذا القلب بالحياة بحكم ما تحتوي عليه من مقومات جيواستراتجية، فهي تمتلك ثلثي سكان العالم وتنتج ثلثي الناتج المحلي العالمي وتتضمن أكبر دولتين من حيث عدد السكان والمساحة وهما الصين والهند، فضلا عن غناها بالموارد الطبيعية وامتلاكها لأهم الممرات البحرية وقدرات نووية الأمر الذي يجعل من تلك المنطقة ساحة لصراعات دولية مستمرة.[5]

وقد خلص "سبيكمان" إلى فرضية مفادها من يهيمن على "الريم لاند" أي حافة الأرض يسيطر على أوراسيا ومن يتحكم في أوراسيا سوف يسيطر على العالم، وقد تجسدت نظرية حافة الأرض واقعيا على تجربة الحرب العالمية الثانية التي تحقق فيها نصر الحلفاء خلال سيطرتهم على الشواطئ واليابسة في أغلب مناطق حافة الأرض، وقد كان لتلك التجربة الأثر الكبير في إعداد السياسة الخارجية الإمريكية وهي أصل عقيدة الإحتواء التي تبنتها الولايات الإمريكية في فترة الحرب الباردة معتبرة تلك الرقعة الجغرافية بمنطقة ارتطام التي دارت فيها صراعات دولية من أجل السيطرة على ممراتها ومواردها الطبيعية.[6]

وبما أن روسيا هي القلب وتعد الظهير الخلفي للأرض الهامشية تسعى دوما من خلال التوغل فيها كقوة قارية الوصول إلى البحار والمحيطات، فيتوجب على الولايات المتحدة الإمريكية منع التوسع الروسي عبر تلك المنطقة باعتمادها سياسة الإحتواء خلال الحرب الباردة لتطويق الإتحاد السوفياتي وحرمانه من التوسع انطلاقا من هذه المنطقة، بإنشاء حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا،وحلف بغداد، وهذا ما يفسر كذلك التواجد البحري الإمريكي والبريطاني وسيطرتهم على القواعد العسكرية الأهم في العالم، بالإضافة إلى سعي واصرار الولايات المتحدة الإمريكية على منع أي تقارب أوروبي روسي أو روسي ايراني، بالإضافة إلى التواجد الإمريكي المكثف في آسيا الوسطى في أفغانستان، جورجيا، والإهتمام الكبير كذلك ببحر قزوين.[7]

2-ألفريد هامان وجيوبولتيك البحر (1840-1914): يعد القائد البحري الإمريكي "ألفريد هامان" من بين الأوائل الذين كتبوا في جيوبولتيك البحر، وقد تضمن كتابه الشهير أثر القوة البحرية في التاريخ 1890، خلاصة أفكاره عن الإستراتجية البحرية، وكان أول من جادل بأن الشرط الأساسي للقوة والسيطرة العالمية هو التحكم في البحر، حيث أن القوة البحرية في المحيطات ستمنح لصاحبها الأفضلية في ترجيح كفة أي صراع عالمي، وقد رأى أن الولايات المتحدة الإمريكية ستصبح قوة عالمية في المستقبل ولذا كان متحمسا وداعيا لزيادة قوتها البحرية، إذ يقول أن وجود أسطول يستطيع القيام بمهام الهجوم سيضمن للولايات المتحدة سيادتها المطلقة في بحر الكاريبي

---

[5] بوالسنان سفيان، محاضرات في الجغرافية السياسية، مطبوعة مقدمة للسنة الثانية ليسانس جدع مشترك، 2017،ص17.

[6] نفس المرجع، ص 16.

[7] رضوان بوهيدل، الجيوسياسية من الفكر إلى الأداة، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد 2، العدد 1، 2016، ص 228.

والمحيط الهادي، وقد وجه "هامان بذلك نظر الولايات المتحدة الإمريكية للتوسع في قارة إمريكا الشمالية، وبذلك يطبقون مفهوم المجال الحيوي الذي دعى إليه "راتزل" فأتجهوا للتوسع شرقا وغربا وجنوبا بحجة الوحدة الجغرافية.

وجد هذا الإتجاه من يشجعه في الولايات المتحدة الإمريكية مثل "وليم سيوارد" الذي كان يشغل منصب وزير خارجية في عهد الرئيس "لنكولن"، وقد تزايد هذا الإتجاه إلى ان بدأت تظهر عقب الحروب الأهلية بعض الأفكار التي تدعو إلى انشاء إمبراطورية إمريكية تضم الجزر الهامة في بحر الكاغريبي، وبعض الجزر في المحيطين الأطلسي والهادي، ثم التفكيثر في إنشاء قناة في "نيكاراجوا" أو "بنما" للربط بين هذين المحيطين.

وقد ذهبت أراءه بعيدا عن المسرح الإمريكي وقادت الولايات المتحدة الإمريكية للظهور كقوة عالمية عن طريق القوة البحرية، ولاقت نظرية "ماهان" وآراؤه عن أهمية الأسطول البحرى قبولا وحماسا لدى الألمان باعتبار أن الأسطول البحرى يعد القاعدة التي يمكن عن طريقها الحصول على إمبراطورية واسعة كما فعلت بريطانيا، ثم اللوصول السيادة العالمية، ولذلك اندفعت ألمانيا لبناء أسطول بحرى قومي مما هدد بريطانيا ودفعها للدخول في سباق مع ألمانيا، وأسهم في اندلاع الحرب العالمية الأولى.

ويعطى "ماهان" عدة حقائق لها أثرها في تطور القوة البحرية للدولة وعلى ضوئها يمكن تقدير قوة الدولة ومدى إمكاناتها في هذا المضمار وهي :

1-الموقع الجغرافي للدولة: وذلك من حيث سواحلها وعدد الجبهات التي تطل بها على البحر، ومدى توافر الطرق السهلة التي تربط بين هذه الجبهات ومدى تحكمها في الطرق التجارية والقواعد الاستراتيجية وقدرتها على تهديد العدو بأسطولها البحرى.

2- شكل الساحل: ويقصد به مدى تعرجه، ومدى توافر المرافئ، لأن كثرتها تعد مصدر قوة للدولة، وخصوصا إذا كانت عند مصبات الأنهار الصالحة للملاحة لأن في ذلك مساعدة على تيسير الحركة التجارية داخل الدولة، رغم أن ذلك يعد مصدر خطر وقت الحروب إذا لم تتوافر الحماية الكافية. كما تلعب خطوط الأعماق في المنطقة الساحلية دورا هاما. وتزداد أهمية السواحل عندما توجد بعض الجزر أمامها لتسهيل عملية الانتقال وتقديم الخدمات والصيانة للسفن، ولتكون خطا أماميا في حالة الحروب كما في الجزر البريطانية.

3-امتداد السواحل: إن أطول السواحل البحرية وسهولة الدفاع عنها وحمايتها أو عدم القدرة على ذلك له دوره الهام في قوة الدولة البحرية.

4- مساحة الدولة: تلعب مساحة الدولة دورا كبيرا في قوة الدولة، فهي تمثل الظهير القاري، وعندما يكون الظهير القاري كبير المساحة، وغنيا بموارده، وقليل السكان، فإنه يصبح عامل جذب للسكان مما يصرف الانتباه عن التوجه للبحر مثل فرنسا، ولكن عندما يكون الظهير فقيرا ويفتقد عوامل الجذب فإن ذلك يكون مشجعا للاتجاه نحو البحر مثل النرويج ومثل اليونان.

5- **حجم السكان وطبيعتهم:** وذلك من حيث الكم والكيف، فعلى السكان تتوقف قدرة الدولة على بناء السفن، وإعدادها بالرجال وخصوصا هؤلاء الذين يتجهون صوب البحر، ويتمتعون بالصفات التي تؤهلهم لذلك، وأن يكونوا ممن يتقبلون العمل فيه برغبة ذاتية بالإضافة إلى السياسة العامة للدولة.

6- **خصائص النظام الحكومي المطبق في الدولة**: وهذا يلعب دورا كبيرا في توجيه إمكانات الدولة الطبيعية والبشرية نحو البحر، وعلى نوع العلاقات القائمة بين الدول البحرية المتجاورة.